نماذج تطبيقية في:

مناهج الترجمة والتحقيق

أحمدك اللهم لما هديتني فانصرفت إلى كتابك أتزود منه خير الزاد وألتمس منه قبساً أستصبح به فيما يحزبني من ظلمات السبيل ، وأستعين بك على عمل رضيته فحملت النفس على ضراء ناصبة ، فإن أصبت فتلك نعمة سابغة من نعمك ، وإن أخطأت فعذري أني امرؤ قاصر في جنب عظمتك .

وبعد فإن دراسة لغة التنزيل العزيز ثم لغة الحديث الشريف لهي أشرف الدرس وأجل العمل . وأنى لنا أن ندرك من أسرار هذه العربية من غير أن نرجع إلى ينابيع الكلم في كتاب الله - جل شأنه - والحديث الشريف . وقد أكون أقرب إلى الحق إذا ما زعمت أن معرفة أدب العرب في جاهليتهم وإسلامهم وسائر عصورهم ، شيء لا ندركه إلا بمعرفة هذه اللغة الإسلامية الشريفة . وإذا قيل : إن الشعر ديوان العرب ، فحقيق بنا أن نقول أيضاً : إن التنزيل العزيز هو الحكمة العالية والأدب الرفيع الذي اهتدى به العرب وسائر الأمم التي استظلت براية الإسلام .

ولا أدري كيف ساغ للغويين الأوائل أن يتصيدوا الشوارد مما قالته العرب في شعرهم وأراجيزهم يستدلون به على قاعدة أقروها ومعنى ذهبوا إليه ، فكان الشعر مادتهم في جمع هذه اللغة ، يأخذون منه المثال الذي جرى عليه المعربون في تراسلهم وأدبهم . وإذا كان لهذه العربية أن تقطع في تاريخها الأحقاب فلا بد أن نقف على ما عرض لها حين كثر النشر في عصرنا وشمل المعارف عامة ، فمن ترجمة إلى تصنيف إلى تحقيق نص قديم ، وذلك أنهم قصّروا في فهم عربية التنزيل العزيز .

ومن غير شك أن أولى أدوات الناشر الجديد ينبغي أن تكون معرفة المادة التي يضطلع بنشرها ، سواء أكانت ترجمة لمادة غريبة أو تصنيفاً أو تحقيقاً لنص قديم . فإن لم يملك الناشر هذه « المعرفة » عرض له وهمٌ كثير لا سبيل إلى رأب الصدع فيه .

ولنبدأ بالترجمة فنقول : على المترجم أن يعرف المادة ويكون له فيها اختصاص أو ما يشبه ذلك ، ثم لا بد له من معرفة تامة وافية باللغتين : الأولى التي ترجم منها ، والثانية التي ترجم إليها .

أقــول : فإن لم يتيسر للمترجم معرفة مادته على النحو الذي أشرنا إليه ، كان الغلط وكان بعد عن الحقيقة ، وكان تزيّد مرفوض .

ومن ذلك مثلاً :

أن أحد المترجمين قد ترجم « تقريراً » في عشائر العراق - وهو كتاب كبير - فكان فيه عشيرة « **الجرّاه** » كذا .

ولا نعرف في عشائر العراق عشيرة بهذا الاسم ، ولم يكن المؤلف الانكليزي قد أخطأ في ضبط العلم ، ولكن المترجم هو المخطىء .

و « **الجرّاه** » هو « **الجراح** » ، ولو أدرك المترجم هذا الأمر وكان على علم اجتماعي تاريخي بعشائر العراق لاهتدى إلى أن الانكليزي يريد « **الجراح** » ، وبسبب من عدم وجود « **الحاء** » في الانجليزية يصار في رسم الكلمات العربية التي فيها الحرف إلى نظيره الصوتي وهو الهاء ، فيضل بذلك المترجم غير الفطن ، الذي لم يتقن مادة ما يترجمه ، كما حدث لصاحبنا هذا ، مع أنه عراقي يفترض فيه هذه المعرفة .

أقــول : وقد أدرك هذه المشكلة المستعربون الغربيون ، فوضعوا نقاطاً وعلامات أخرى ليتوفروا على الأصوات العربية التي لا توجد في أصواتهم الغربية .

فيصار إلى الحاء برسم الحرف (H) وتحته نقطة ، فإذا كان خاءً رسم هذا نفسه مع خط صغير تحته . ومثل هذا كان صنيعهم في الأصوات العربية الأخرى التي ليس لها نظائر في لغاتهم ، وهذا معروف منذ زمان طويل في كتابات المستعربين والمستشرقين عامة .

ومثل هذا ما عرض لأحدهم في ترجمة كتاب « **ثورة العشرين** » في العراق؛ فجاء فيه :

وكان الشيخ زاري (كذا) ....

أقول : **لو كان المترجم غير عراقي لالتمست وجهاً للعذر** ، ولكنه عراقي فلا عذر في ذلك ، وكيف يكون « **الشيخ ضاري** » وهو علم مشهور يعرفه العراقيون ممن شارك في الثورة وله مع القائد البريطاني « **لجمن** » موقعة قُتل فيها هذا المستعمر الأجنبي ، وناله من لهيب الثورة ما ناله .

ثم كيف جهل المترجم كل هذا فصيّر الضاد زاياً ، ثم ألم يكن له معرفة لغوية بـ « **الأعلام السائرة** » في العراق ؟

أقــول : كان عليه أن يعرف أن « ضاري » من الأعلام العربية في العراق ولا سيما عند العشائر ، وليس في العراق ولا غير العراق علم عربي بالزاي أي « زاري » .

لقد نقل هذا المترجم ما وجده مرسوماً في الكتاب الذي صنفه أحد الروس في ثورة العشرين فوجده برسم هذا العلم بالزاي فكان للمترجم « زاري » ، **وهذا غريب حقاً** .

أقــول : لقد سمع الأوائل الأعلام الأعجمية إبان الحروب الصليبية وقبلها فأعطوها صورة أخرى ، وأبدلوا في أصواتها لما بدا لهم أنه مناسب للعربية ،

بقلم : الدكتور ابراهيم السامرائي

● إذا كان الأوائل قد وقع منهم « المصحَّف » و « المشتبه » فربَّما وجدنا لهم فسحة من عذر بسبب نقص الرسم ، أما اليوم ، فلا عذر لهؤلاء ، بعد أن عرفت الأصوات وتميَّزت ..

فقالوا في « رودريك » « لذريق » وقالوا في « الكسندر » « اسكندر » وغير ذلك كثير .

اقـــول : كان ذلك كان من دابهم في « التعريب » ، وليس من جهل كما عرض للتراجمة في عصرنا فكان منه ما اشرنا إليه :

وقد يحز في نفسك ان تجد احداً من اهل العربية في عصرنا يترجم رسالة في « تاريخ اللغات السامية » عن الالمانية فتجد فيها : « شنفرة » و « سوقوطري » ، والناظر إلى الكلمتين لا يشك فيهما ، ولا يختلج في ذهنه انهما من التصحيف والخطأ ، وسبب ذلك عدم فهم الحقيقة ، وإلا كيف يجهل مختص بالعربية الشاعر الجاهلي « الشنفرى » صاحب اللامية المشهورة ؟

ثم كيف يكون لهذا الرجل الفاضل ، الا يعرف جزيرة « سقطرة » من الجزر العربية في « بحر العرب » وقد وردت في « معجم » ياقوت ؟ وهي لا تزال معروفة بهذا الاسم .

ولنعرض لشيء آخر يصار إليه من عدم معرفة الاصوات الاعجمية فلا يهتدي الناقل او المترجم إلى الصحيح .

ومن ذلك ان احداً كتب في جغرافية بلاد العرب ، ولم يكن من اهل شبه الجزيرة ، وكان ينظر في كتاب الماني ، كما يبدو مما وقع فيه من الغلط ، فكان من ذلك انه اثبت « جبرين » بالجيم ، فأحدث اسماً لا وجود له في اسماء مواضع بلاد العرب ، ولو كان هذا من اهل العلم او اهل الاختصاص او كان له صلة بهذه البلاد ، لعرف ان الصحيح هو « يبرين » التي وردت في الشعر القديم كثيراً ، والتي ذكرها اهل « البلدان » عامة .

لقد فَرَطَ من هذا المترجم هذا الغلط الشنيع بسبب انه نظر في أصل الماني ، والالمان يرسمون الحرف « J » وصوته الياء فهم يكتبون « Jabrin » ونطقها « يبرين » . لقد ظن هذا المترجم الذي لم يعلن انه « ترجم » و « نقل » بل اثبت ان الكتاب من تصنيفه ، اقول : لقد ظن ان الحرف « J » في الالمانية ينطق كما ينطق في الفرنسية او الانكليزية فاثبت « الجيم » والصحيح الياء .

اقــول : إذا كان الاوائل قد عبثوا بسبب الإعجام والإهمال فكان « المصحَّف » و « المشتبه » فربما وجدنا لهم فسحة من عذر بسبب نقص الرسم ، اما اليوم فلا عذر لهؤلاء بعد ان عرفت الاصوات وتميزت .

ولما كنا بصدد الكلام على ما آلت إليه الترجمة ، وما فرّط به المترجمون ، يحسن بي ان امضي قليلاً في هذا السبيل فاقول : إن احداً من الفضلاء قد ترجم كتاباً المانياً في الادب العربي فوقع في شر هذه الترجمة التي حوَّلت « انطون صالحاني » اليسوعي إلى « احمد الصالحاني » وكانه مسلم بهذه التسمية التي اعيرت إلى هذا النصراني بسبب جهل المترجم انَّ ناشر ديوان الأخطل هو « انطون صالحاني » اليسوعي ، وليس هو « احمد الصالحاني » ، كما اثبت المترجم .

وتفصيل هذا الخطأ الكبير ان المصنف الالماني يرمز للاسم الذي يرد في الكتاب بحرفه الاول ، ولما كان « احمد » من الاسماء العربية الإسلامية يتردد في اسماء المصنفين المسلمين رمز له بالحرف « A » ، ومثل « احمد » سائر الاسماء التي تبدأ بالهمزة رمز لها بالحرف نفسه .

وقد خُيِّل للمترجم خطأ ان الحرف « A » هو دائماً يرمز به لـ « احمد » ، ثم وجد بازاء هذا الحرف Salihani فجعله « احمد » ثم زاد الالف واللام ليجعل اللقب فصيحاً جرياً على قواعد العربية في الصفة والموصوف ، فكان ما كان .

فوالله هذا اعجب العجب ان يتحول الشيء إلى غيره وهو اوضح من الصبح إشراقاً !

ومثل هذا صنيع آخر من « مؤرخي » العرب قبل الإسلام الذي عرض لمسالة « الاحابيش » وهم جماعة من العرب اجتمعوا وتحالفوا عند جبل « حبشي » من مواضع بلاد العرب المعروفة .

لقد ظن الاستاذ « المؤرخ » ان « الاحـابيش » هم جماعة من « الاحباش » اي من بلاد الحبشة ، وفاته ان الاصل هو الجبل المعروف فذهبت حقيقة وانطمس علم ، وسبب هذا ان « المؤرخ » الاستاذ اخذ علمه من كتاب الماني ، وكان الاستاذ الالماني مخطئاً في فهمه فزلَّ بزلته صاحبنا المؤرخ العربي المسلم ، ولو ادرك المترجم ما ذكره المصنفون العرب في جبل « حبشي » لصحح خطأ المؤلف الالماني .

اقـــول : إذا كنا لا نؤاخذ الالماني الاعجمي مؤاخذة شديدة ، فإننا لشديدو المؤاخذة للمترجم الذي لم يشر إلى انه ترجم فزلَّ بزلة صاحبه .

وكثير من اصحابنا الكتاب يصنفون كتباً ووراءهم « ضمير مستتر » غربي اعجمي يخفونه فيأتون بما اتى صاحبهم ، فإن اصاب فقد ملأوا ماضغيهم زهواً ، وإن اخطأ فقد اخطأوا وضلّلوا غيرهم .

ثم اعود فاقـول : إن الدارس للتاريخ الإسلامي ينبغي له الإلمام بكل ما يتصل بهذه المواد التاريخية من حواش في الادب واللغة ، وإلا فقد عرض له وهمٌ كثير .

وقد وقع المستعربون والمترجمون في خطأ بسبب من فهم قاصر ، الا ترى ان المستشرق « درنبورغ » قد اشار إلى كتاب « الانباري » « ابي البركات » وهو « جدل الإعراب » فقرأه « الاعراب » بفتح الهمزة وترجمه على انه مناقشات وجدل للاعراب اي البدو !

وبسبب من إساءة القراءة ظن المستشرق الفرنسي بلاشير ان قوله تعالى : ﴿ ألاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ جملة استفهامية ، وهو استفهام مع الإنكار ، فكانت ترجمته الفرنسية للآية مشيرة إلى هذا الاستفهام مع النفي ، وحقيقة الآية إثبات وتقرير ، والمعنى « إن بذكر الله تطمئن القلوب » .

نماذج تطبيقية في: مناهج الترجمة والتحقيق

● « الأحابيش » ليسوا أحباشاً من بلاد الحبشة ـ كما يظن الكثيرون ـ وإنما هم جماعة من العرب ، اجتمعوا وتحالفوا عند جبل « حبشي » من مواضع بلاد العرب المعروفة ..

في نشـــر النصـــوص القديمـــة ...

ومما ورد في نشر النصوص القديمة أن الناشر أو المحقق قد يجتهد اجتهاداً خاصاً فيغير تبعاً لاجتهاده في قراءة النص ، ومن ذلك ما جاء في إحدى حواشي « **تاريخ ابن الكازروني** » للدكتور مصطفى جواد ـ رحمه الله ـ على بيت **لأبي نواس وهو :**

وَإِذَا المَطِيُّ بِنَا بَلَغْنَ مُحَمَّداً فَظُهُورُهُنَّ عَلى الرِّجَالِ حَرَامُ

اقــول : هذه هي قراءة البيت في « **الكتاب** » المذكور ، وكذلك في « **الديوان** » وسائر الكتب التي أثبتت القصيدة .

غير أن **الدكتور مصطفى جــواد** قال : والصـــواب :

فظهورهن على الرحـــال حرام

اي « **الرحـــال** » جمع « رحل » وليس « **الرجال** » جمع « **رجل** » ، والمعنى : **يجب أن تعرى المطي من « الرحال »** .

والذي ذكره المتقدمون من أهل الأدب ونقاد الشعر أن الاحترام الذي يفرضه **الخليفة محمد الأمين** ، يوجب أن ترعى المطي رعاية خاصة فينزل عن ظهورها الرجال .

ومثل هذا الاجتهاد والنظر الذي يفضي إلى التزام قراءة خاصة ما ذهب إليه أحد الفضلاء من أن كتاب « **العيون والحدائق** » للمؤلف المجهول قد يكون أوجه لو كان : « **العيون الحدائق** » وذلك أن « **العيون الحدائق** » هي « **العيون المُحدِقة** » أو « **المحدِّقة** » بتشديد الدال ، وكأن هذا الفاضل قد استدل بتكملة اسم الكتاب التي هي « **في أخبار الحقائق** » ، فالعيون محدقة في « **أخبار الحقائق** » .

غير اني أحس أن في هذا تعسفاً في سلوك هذا الطريق ، والذي أراه أن « **العيـون** » هي عيون الماء وهي لصيقة بـ « الحدائق » كما لصقت « **العيون** » بـ « **الجنّات** » في لغة التنزيل كقوله تعالى : ﴿ **فِي جَنَّـاتٍ وَعُيُونٍ** ﴾ .

ومثل هذا قراءة أحد الفضلاء للبيت :

الشَّمْسُ إِيَّاكِ إِلَّا أَنَّهَا امْـرَأَةٌ وَالبَـدْرُ إِيَّـاكَ إِلَّا أَنَّـهُ ذَكَـرُ

فقيل له : كيف تقول في « إيَّاك » ، فأشار إلى حكاية المسألة الزنبورية التي قال الأوائل انها جرت بين الكسائي وسيبويه وهي :

قال **سيبويه** : قالت العرب : العقرب أشدّ لسعةً من الزنبور فإذا هو هي .

وقال **الكسائي** : **العقرب أشدّ لسعةً من الزنبور فإذا هو إيَّاها .**

وكان ما كان من هذه الحكاية المعروفة .

اقــول : ذهب هذا الأستاذ الفاضل إلى هذا مفيداً أن « **إيَّاك** » في البيت على نحو ما ذهب إليه **الكسائي** في الحكاية المشار إليها . غير أن آخر من أهل الفضل والعلم ردّ عليه قوله فذهب إلى أن « **إيَّاك** » كلمة مصحفة وصوابها « **أَدُتْك** » وعلى هذا يكون نص البيت :

الشَّمسُ أدُتْـكَ إلَّا أنها امـرأة والبدر أدُاك إلَّا أنـه ذكر

ووجه المعنى بيِّن ظاهر .

وهذا الاجتهاد في إثبات التصحيف يدل على مبلغ من إدراك المعاني الصحيحة ، وفقدان هذا الاجتهاد أضاع الكثير من الصواب .

قلت : ومن تمام آلة المحقق أن يلم بالتاريخ لتسلم العبارة معنىً وروحاً ، وإلا ضاع علم وجهلت حقائق ، ولنضرب لذلك مثلاً فنقول :

جاء في نص محقق أن أحد القدامى ذكر ـ ولعله الجاحظ ـ أن من شرائط « **الإمامة** » الفروسية (كذا) .

قلت : وهذا يعني أن خليفة المسلمين لا بد أن يكون فارساً ، ولم يرد في أقوال الفقهاء وأهل العلم شيء من ذلك . وقلت في نفسي مازحاً : إذا كان هذا قد جرى للخليفة في العصور القديمة ، فقد يكون من تمام رئاسة الجمهوريات في عصرنا أو الملوك في البلاد العربية والإسلامية ، سيارة كبيرة جميلة ، فكما لا يجوز أن يُنَص على شيء من هذا ، كذلك لا يمكن أن يكون من شرائط « الإمامة » ، « **الفروسية** » .

اقــول : لقد عرض لهذا النص التصحيف بسبب سوء رسم الكلمة ، فالصواب : « **القُرَشية** » اي أن الإمام ينبغي أن يكون من « **قريش** » عملاً بقوله ﷺ : « **الأَئِمَّــةُ مِنْ قُرَيْش** » .

وعلى هذا أما كان على ناشر النص أن يعرف هذه القوائد التاريخية ليقيم النص عليها فيهتدي إلى الصواب ؟!

ومن هذا أيضاً ما وجدته في كتاب « **المثل الســـائر** » لضياء الدين بن الأثير أنه قال بما معناه : وقال شاعر متأخر هو المعرّي (كذا) ، كان ذلك في جميع طبعات « **المثل السائر** » .

قلت : كيف يكون « **المعري** » من شعراء القرن الخامس الهجري متأخراً لدى **ابن الأثير** ، وهو من رجال القرن السابع الهجري . لم يفطن المحققون لكتاب « **المثل السائر** » لهذه الحقيقة التاريخية .

وقد كان لي أن حققت كتاب « **المثل السائر** » على تسع نسخ خطيّة وكان ذلك بعض متطلبات درجة دكتوراه الدولة من جامعة باريس (**السوربون**) ، ولما وقفت على العبارة المشار إليها في المطبوع في « **المثل السائر** » أنكرت ذلك ، فنظرت في المخطوطات وإذا أنا واجد في شيء منها العبارة الصحيحة وهي أن

● كثير من التصحيف في الأسماء ، سببه الترجمة الخاطئة عن كتب المستشرقين ، بدون الرجوع إلى المصادر للتثبت من صحتها ..

« الشاعر المتأخر هو الغزّي » وليس « المعري » وتم بذلك التصحيح .

اقــول : كان على المحققين لهذا الكتاب أن يفطنوا لهذه المسألة التي يبدو خطؤها واضحاً .

ومن هذا ما قرأته في « الفهرست » الطبعة الإيرانية الأخيرة التي جعلها المحقق الإيراني « للنديم » وليس ابن النديم وليس من حجة في ذلك فهو عبث وإساءة .

جاء في هذا الكتاب في مقدمة ناشره في الكلام على **الزبير بن بكار** ومصنفاته :

كتاب اللغة (كذا) للموفّق وهو « **الموفقيات** » .

اقــول : في العبارة ما يوحي أنها غير مستقيمة ، فكيف يكون كتاب اللغة (كذا) للموفق ؟ وهو **الخليفة العباسي** ، ثم قال : وهو « **الموفقيات** » أي اسم الكتاب .

وصــواب العبــارة :

كتاب ألّفـه للموفق ، وهو « **الموفقيات** » .

واضيف أن كتاب « **الموفقيات** » قد نشره وحققه **الدكتور سامي مكي العاني** فكان من جملة منشورات وزارة الأوقاف في العراق .

وقد نقف في التحقيقات العلمية على أن نفراً من المحققين لم يصطنعوا بصنعتهم ، فلم يعرفوا طرائق النساخ القدماء ، فأثبتوا ما وجدوه في المخطوطات ، فكان من ذلك أن « **الحارث** » و « **القاسم** » من الاعلام العربية قد تحولا إلى « **الحرث** » و « **القسم** » وكأنهما علمان من أعلام العرب وحقيقتها ما أثبتناه ، ولم يُسمّ العرب بـ « **الحرث** » ولا « **القسم** » (كذا) .

ولا بد لي أن أقف وقفةً خاصة على تصحيف يكشف عن أن المحقق لم يُلمّ بالمادة التاريخية إلماماً يعصمه من الوقوع في الوهم ، وذلك ما حدث في « **شرح نهج البلاغة** » **لابن أبي الحديد** ، جاء فيه كنية « **أبي الفضيل** » **لأبي بكر الصديق** ـ رضي الله عنه ـ .

اقــول : ولم نجد أصلاً ولا ذكراً لهذه الكنية الغريبة ، ولو فكر المحقق في حواشي المادة التاريخية وادرك ظروفها الزمانية ، لاهتدى إلى أن المجتمع الإسلامي ولا سيما في العصور المتأخرة من حكم العباسيين في بغداد كان منقسماً بين سنّة وشيعة ، وقد أدّى الانقسام إلى تفاقم الخلاف بين العامة من الفرقتين ، مما كان له وقائع وخصومات جرى فيها القتل والسلب والإحراق .

وقد أدّى هذا إلى أن يتعصب كل من الطرفين ، فيغلوا في التعصب والكيد وربما جرّ إلى أن يلعن الشيعة الشيوخ الثلاثة من الخلفاء الراشدين ، كما دفع ذلك عوام السنة أن ينالوا من علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنهم جميعاً ـ .

اقــول : كل هذا أدّى إلى عبث آخر ، فكان مما نُبز به « **أبو بكر الصديق** » ـ رضي الله عنه ـ من جماعة من الشيعة أنهم كنوه بما يعني « **أبا بكر** » في المعنى ، وهو **أبو الفصيل** ، **والفصيل هو البكر أي ابن الناقة** .

وأقول أيضاً : لم يفطن المحقق لشيء من هذه النكتة التاريخية ، فأثبت « **أبا الفضيل** » بالضاد المعجمة ، وهي كنية لا وجود لها في هذا الخصوص من الناحية التاريخية ، ولو كان المحقق مدركاً لهذه الفوائد لأثبت الصواب وتجنب الخطأ .

ولو قرأ ما ورد في شعر حسان بن ثابت أنه قال في « **الردّة** » وكانت العرب تقول لا نطيع أبا الفصيل ويعنون أبا بكر ـ رضي الله عنه ـ .

ما البكرُ إلاّ كالفصيلِ وقد ترى ... أنّ الفصيلَ عليه ليس بعارِ
إنّا وما حجّ الحجيجُ لبيتِه ... رُكبانُ مكّةَ معشرُ الأنصارِ
نفري جماجمَكم بكلّ مهنّدٍ ... ضربَ القُدارِ مبادِئَ الأيسارِ
حتّى تكنّوه بفحلِ هنيدةٍ ... يحمي الطّروقةَ بازلٍ هدّارِ

ومن هذه الشذرات ما قرأته لأحدهم من أصحابنا المعنيين بالرجال في كتب الطبقات ، فقد كتب مبحثاً في « **الفكاهة** » وعرض لأخبارها ، ولما صنف فيها في العصور القديمة وفي عصرنا .

وقد جاء في كلامه أن النحاة الأوائل نحو **يونس بن حبيب وأبي زيد الأنصاري والكسائي** وغيرهم ممن بلغت عدتهم عشرين نحوياً جاء ذكرهم في « **فهرست** » **ابن النديم** ، كانوا قد صنفوا في « **النوادر** » .

لقد ظن هذا الكاتب الفاضل أن « **النوادر** » عند هؤلاء النحويين ضرب من الفكاهة وما يتصل بها من الحمق والعبث والمجون ، وهو بهذا جارٍ على الشائع في عصرنا من أن « **النادرة** » هي « **النكتة** » و « **اللطيفة** » و « **الملحة** » ، وفاته أن « **النوادر** » عند هؤلاء اللغويين النحاة ضرب من الكلم في العربية فهو من « **الغريب** » الذي لا يعرفه إلاّ القليل ، وهو مما أخبر به الأعراب من الألفاظ البدوية النادرة ، على أن شيئاً منها يدخل في باب « **الأوابد** » وهي أيضاً « **الشوارد** » .

اقــول : كان على هذا « **الدارس** » المعنيّ بالرجال وطبقاتهم وتراجمهم أن يكون له حظ من العربية يعصمه من الوقوع في وهم كالذي عرض له . ومن هذه الأوهام التي تعرض لأصحابنا من أهل التاريخ ما حصل لأحدهم وهو يدرس أو يقدم للمقايسات من مصنفات أبي حيان التوحيدي أنه جعل كتاب « **ديوان الأدب** » للفارابي أبي نصر الفيلسوف ، وفاته أن « **الفارابي** » صاحب « **ديوان الأدب** » علم آخر من اللغويين لا الفلاسفة وهو خال **الجوهري** صاحب « **الصحاح** » .

اقــول : وكان على المحقق أن لا يؤخذ بالشهرة فيطمس الحقيقة ويخلط بين علم وآخر اشتركا في الاسم أو الكنية أو اللقب .

• لا يجوز التعسف في الاجتهاد والنظر ، حتى يغير الناشر أو المحقق في قراءة النص تبعاً لاجتهاده ..

وقد عرض هذا الوهم كثيراً للمعنيين بالرجال ، فكان خلط كثير في « كشف الظنون » بحيث يستطيع الدارس أن يجمع هذا فيؤلف فيه رسالة خاصة . وقد عرض شيء من هذا للزركلي في « الاعلام » ولعمر رضا كحالة في « معجم المؤلفين » وغيرهما ولا سيما في الاعلام العراقية والمغربية التي يجهلون امرها ، ولم يتهيأ لهم مصادر كافية يقفون فيها على حقائق الأمور . فأنت ترى ان « الحلي » نعت لطائفة من المترجمين قدماء ومحدثين فليس غريباً أن يُضَم ما لجعفر الحلي إلى حيدر الحلي مثلاً .

وقد تجد من هذا ما تستغربه مما جرى لأحد المعاصرين من أهل الفهرسة ، وهو أنه ترجم لأحد العراقيين المعنيين بعلم الاجتماع ، وأضاف إلى كتبه كتباً أخرى في التاريخ العباسي ، ولم يكن للمترجم شيء منها ولا عرف هذا الاختصاص . وتفصيل هذا أن المترجَم هو شاكر مصطفى سليم صاحب كتاب « الجبايش » ، ولكن « المفهرس » نحله كتباً أخرى في التاريخ العباسي وصاحبها « شاكر مصطفى » .

أقــول : كان على « المفهرس » أن يميز بين فلان وفلان فلا يقع في مثل هذا الخلط . ثم إننا لنستغرب أن يحصل هذا الخلط ، ولم يفطن إلى أن المترجم قد عرف باسمه الثلاثي كما نقول في عصرنا ، وهو شاكر مصطفى سليم في حين أن صاحب المؤلفات في التاريخ العباسي هو « شاكر مصطفى » ليس غير ، وأن الأول عراقي ، والثاني سوري .

ومما جاء من أسماء الكتب كتاب « العبَر في خبر من غبر » للذهبي ، وهو من مطبوعات الكويت في سلسلة كتب التراث التي نشرتها وزارة الإعلام .

وقد كنت رأيت من أصول هذا الكتاب المخطوطة الموجودة في باريس وفيها أن المخطوطة هي « العبر في خبر من عَبَر » وليس « غَبَر » .

أقــول : والذي دفع محقق الكتاب المطبوع في الكويت أن يثبت « غَبَرَ » ويستبعد الفعل « عَبَرَ » ما هو شائع ومعروف من معنى « غَبَرَ » الذي يعني « قَدُمَ » والغابر هو السابق القديم ، ودفعه إلى هذا أن المترجمين في الكتاب من الاعلام المتقدمة ومن يليهم حسب التسلسل الزمني .

وليس « الغابر » هو القديم المندثر ، وذلك لأن هذا النعت يفيد الباقي والدائم ، ومن أجل هذا حملوه على التضاد . وإلى هذا المعنى الأخير وهو الباقي والدائم ورد في لغة التنزيل كقوله تعالى :

﴿ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴾ (الأعراف : ٨٣) .

وعلى هذا فالذي أراه أن ما أثبت في أصول الكتاب صحيح له وجه مقبول في العربية ، فالعابر (بالعين المهملة) هو الذاهب ، وكأن المؤلف اختاره ليتهيأ له ضرب من « التجنيس » وهو ما شاع في العصور المتأخرة في كلامهم كثيراً .

وقال لي صديق من أهل العلم ممن رزق معرفة حسنة في العربية : كيف تقول في كتاب « أسد الغابة في معرفة الصحابة » ؟

قلــت : هو « أُسُدُ الغابــة » جمع أسد ، فقال : الا ترى انه « أسَــدُ » على الإفراد ، وهذا يعني أن « الكتاب » بالقياس إلى معاجيم الصحابة متفرِّد وحيد يفوق سائرها في خصائصه ومحاسنه فهو كالأسد في الغابة ملك الوحوش فيها .

وإلا كيف يوصف الصحابة ، رضوان الله عليهم ، بأسد في الغابة ، ثم كيف يوصف جمع الصحابة وهم كثير في العدد بـ « أسد » وهو جمع لأدنى العدد ، وكان ينبغي أن يُصار إلى « أسود » للدلالة على الجمع الكثير . ثم كيف يسوغ لنا أن ننعت الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ بأسد الغاب ؟

أقــول : هذه الخواطر تستحق أن يُوقَف عليها وينظر إليها بتدقيق وإعمال الفكر .

وإذا كان أهل العلم بالعربية قد أدركوا أن المعربين صحَّفوا حين قالوا : « إن الأمر كالشمس في رابعة النهار » ، وأن الصواب هو : رائعة النهار ، فذاك يعني أن الرسم للحروف قد حمل الضيم على هذه اللغة ، وأن جمهرة كبيرة من المصحَّف قد اندس في متنها فلم يفطن له المعربون ، ولعلك تلمح شيئاً من هذا في شيء من القراءات الشاذة التي منعها الفقهاء ، وإني لأقف معتبراً قولة أبي عمرو بن العلاء في قوله تعالى : ﴿ إِنْ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ ... ﴾ فقد أثر عنه أنه قال : أبرأ إلى الله أن أقرأ : إن هذان ... ...

خاتمـــــة ...

ومما يحسن أن أختم به هذه الأشتات ما قرأته في ترجمة أحد النحويين من كتاب في تراجم النحويين في « طبقات ابن قاضي شهبة » جاء فيه :

... ... أنه (أي المترجَم) كان كوفياً بصرياً .

أقــول : لقد نقل المحقق ما وجده في الأصل المخطوط ولم يشك فيما نقله ولا تدبره ، ولو كان له ذلك لسأل نفسه : كيف يكون المترجم « كوفياً بصرياً » ؟

لقد صنف الأوائل النحــاة فقالوا مثلاً : هو بصري المذهب كما قالوا في آخر : وهو يأخذ بمسائل الكوفيين أو أنه كوفي المذهب ، كما قالوا فيمن أخذ عن المذهبين : إنه يخلط بين المذهبين كما جاء في ترجمة ابن كيسان وأبي بكر بن شقير . وحقيقة عبارة هذا المحقق الذي نقل ما قد صحَّفه ناسخ المخطوطة هي : أنه (أي المترجم) كان كفيفاً بصيراً .

فانظر ـ رحمك الله ـ كيف عبث الناسخ فانتقل عبثه إلى المتن !

وبعد فهذه جملة مسائل أجتزىء بها عن كثير مما حصل إليَّ في الدرس مما وجدته في الكتب المحققة . والله أسأل أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه ، وفوق كل ذي علم عليم .